العطاءُ والأثرُ: ماذا يحدثُ عندما يُبنى القرارُ من الواقع؟

السّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته ، وشكرًا لِجمعيّةِ مُهندساتٍ سعوديات على هذه الدّعوةِ الكريمة، ولشركاءِ اللِقاءِ في شركةِ دِهاناتِ الجزيرة على هذا الاستقبالِ الذي يليقُ بمقامِ الشّراكةِ والمسؤوليّة . يُشرفُني أن أكونَ ضيفًا بينكم؛ لا بصفةِ المتحدثِ فقط، بل بصفةِ المُتعلمِ والممتن لهذه الفُرصةِ التي تجمعُنا لنحتفي بإنجازاتِكم، وبحضورِ مهندساتٍ سعوديات نَفخرُ به جميعًا . سعيدٌ بأن أكونَ هنا، ليس لأتحدّثَ وحدي، بل لنمشي خطوةً معًا نحو فكرةٍ قد تصنعُ فَرْقًا . هذا اللِقاءُ، هنا في الرياض… عاصمةِ الخير، يُجسدُ صورةً مُتقدمةً للتكاملِ بين التخصّصِ الهندسي والعملِ المجتمعي؛ حيثُ تجتمعُ المبادراتُ مع العملِ المؤسسي، وتلتقي الشراكاتُ مع الأثر، في بيئةٍ تُصنَعُ فيها النّجاحاتُ ولا تُنتظر . وأخصّ بالشكرِ المهندسةَ الشيماءَ الشايب، رئيسةَ مجلسِ الإدارة، على قيادتِها الواعية التي أسهمت في ترسيخ هذا الكيانِ المهني غيرِ الربحي. والشكرُ موصولٌ لأعضاءِ مجلسِ الإدارةِ الكرام على جهودِهم وتكاتُفِهم في دعمِ مسيرةِ الجمعية وتعزيزِ حضورِها وتأثيرِها . وأحيي حضورَ المُهندساتِ والمُهندسين؛ فالهندسةُ هنا تتجاوزُ التقنيةَ إلى صناعةِ الحلولِ وتحسينِ جودةِ الحياة، ويعكسُ حضورُ المرأةِ السعودية وتمكينُها أثرَ هذا المسارِ المهني في خدمةِ المجتمع . ما أشاركه في هذا اللقاء هو خلاصةُ دمجٍ بين دراستي لإدارةِ القطاعِ غير الربحي وآدابِ الإحسان، برؤيةٍ ترى العطاءَ ممارسةً إنسانيةً تتطلب فهمَ الواقع ومسؤوليةَ القرار. ولستُ هنا لأقدم نموذجًا جاهزًا، بل تأملاتٍ من البحثِ والممارسة تجمعُ بين المعرفةِ والخبرةِ الميدانية . في كثيرٍ من المبادراتِ المجتمعيّة، ينصبُّ الاهتمامُ على حجمِ العطاء أو سُرعةِ الإنجاز، غيرَ أنّ سؤالًا يبقى حاضرًا : كيف يُبنى القرارُ الذي يقودُ هذا العطاء؟ فطريقةُ بِناءِ القرارِ غالبًا ما تكونُ العاملَ الأهمَّ في عُمقِ الأثرِ واستمراره، وربما أكثرَ تأثيرًا من حجمِ الموارد أو جودةِ التنفيذ . عندما نتحدّثُ عن القطاعِ غيرِ الربحي، فنحن نتحدّثُ عن أحدِ المُحركاتِ الرئيسةِ للتنميةِ المجتمعيّة ؛ قطاعٌ يعملُ في المساحاتِ التي تلتقي فيها القِيَمُ بالاحتياج، وتتحوّلُ فيها المبادراتُ إلى أثر، بعيدًا عن منطقِ الربح التجاري . ويعملُ هذا القطاعُ من خلالِ منظومةٍ مُتكاملةٍ تضم : القطاعَ العامَّ، والقطاعَ الخاصَّ، والمجتمعَ بأطرافِه الفاعلة وأصحابِ المصلحة؛ كلٌّ بدورِه في بناءِ الأثر وضمانِ استدامتِه . وهو قطاعٌ يسعى لتعزيزِ جودةِ الحياة، وبناءِ القدرات،

وتمكينِ الأفرادِ والمجتمعات، بما في ذلك تمكينُ المرأةِ بوصفِها ركيزةً للتنميةِ المجتمعي ة؛ عبر مبادراتٍ مسؤولةٍ تُحسِنُ استثمارَ الموارد لتحقيقِ نفعٍ عا م مستدام . ويتميَّزُ هذا القطاعُ بأنَّ نجاحَه لا يُقاسُ فقط بحجمِ النَّشاط، بل بعمقِ الأثرِ واستمراريَّتِه، ومدى ات ساقِه مع احتياجاتِ المجتمع . العطاءُ الإنساني ليس جديدًا؛ لكن كثيرًا ما بُنِيَ على تصوُّراتٍ عامَّةً عمَّا يحتاجُه الآخرون، لا على ما يعيشونه فعليًا . كانت النيَّةُ حسنة، لكن النتائجَ لم تكن دائمًا بالمستوى المأمول . ومن خلالِ العملِ غيرِ ال ربحي وآدابِ الإحسان، يتبيَّنُ أنَّ التحدِ ي الحقيقيَّ لا يكمنُ في نقصِ الموارد، بل في المسافةِ بين القرارِ والواقع، والمسافةِ بين ما نعتقدُ أنَّه مُفيد، وما يحتاجُه الناسُ فعلًا . وهنا تظهرُ أهميَّةُ النماذجِ المبنيَّةِ على المجتمعِ وأصحابِ المصلحة؛ نماذجُ تُعيدُ بناءَ القرارِ من داخلِ الاحتياج لا من خارجه . ولعلَّ أحدَ أبرزِ النَّماذجِ العالَميةِ التي تو ضحُ هذا المفهوم هي تجربة مشروع مدارسِ روزنوالد (Schools Rosenwald) في الولاياتِ المتحدةِ الأمريكية . وهي مبادرةٌ تعليميَّة أُطلِقَت بهدفِ تحسينِ فُرصِ التعليمِ في البيئاتِ المحرومة، من خلالِ شراكةٍ جمعت بي ن : العملِ الخيري، والمجتمعِ المحلي، والجهاتِ التعليميَّة، وأصحابِ المصلحة . وقد ارتبطَ نجاحُها بالتصميمِ والتنفيذ؛ إذ راعت النَّماذجُ الهندسيَّةُ الإضاءةَ الطبيعيَّة، والتهوية، واتجاهاتِ البناءِ وفقًا للبيئة، والأه م : مشاركةُ المجتمع في اختيارِ الموقع، وفهمِ الاحتياج، وتنفيذِ البناء . فكان التَّكاملُ بين الهندسةِ والواقعِ سببًا رئيسًا في استدامةِ الأثر . وهنا يبرزُ دورُ الشراكات؛ فالتكاملُ بين المجتمع، والقطاعِ غيرِ الربحي، والقطاعِ الخاص، والقطاعِ العام، عندما يُبنى على الوعي والمسؤولية والامتثال، يتحوَّلُ إلى رافعةٍ حقيقيَّةٍ للتنمية . ومن الجميلِ اليوم أن نرى نموذجًا وطنيًّا واضحًا في شراكةِ دهاناتِ الجزيرة، بوصفِها جهةً تُدرِكُ أنَّ المسؤوليَّةَ المجتمعيَّةَ وبناءَ الأثرِ ليست شعارات، بل ممارساتٌ عمليَّة؛ وكثيرٌ من الشراكاتِ التي نفخرُ بها في وطنِنا تسيرُ بهذا النهج المسؤول . ولا يفوتني أن أُعَبِّرَ عن الشكرِ والعرفانِ لِ خادمِ الحرمينِ الشريفين الملكِ سلمانَ بنِ عبدالعزيز، ولِ سُم وِ ول يِ العهد الأميرِ محمدِ بنِ سلمان – عرَّابِ الرؤيةِ الطموحة، حَفِظَهُما ا، على ما قدَّماه من دعمٍ لتمكينِ القطاعِ غيرِ الربحي، وتعزيزِ شراكاته مع القطاعين العام والخا ص. وكمهندساتٍ ومهندسين، نَعلمُ أنَّ الحلَّ يتحسَّنُ بالاختبار، وأنَّ التصميمَ يتطوَّرُ بالتغذيةِ الراجعة، وأ ن القُربَ من الواقع يُح سنُ الأداء . وهذا ما يحتاجُه العملُ المجتمعيُّ اليوم . وتؤ كدُ آدابُ الإحسان أنَّ العطاءَ ليس مجرَّدَ تقديمِ خدمة، بل علاقةٌ أخلاقيَّةٌ تقومُ على الاحترامِ، وحُسنِ التقدير، والنظرِ إلى

الإنسانِ بوصفِه شريكًا في المعنى … لا موضوعًا للتدخّل . ولنختم بسؤالٍ يبقى معنا للتأمّل بعد هذا اللقاء : كيف يختلفُ الأثرُ… عندما يُبنى القرارُ من الواقع؟ وكيف تتغيّرُ النتائجُ… عندما تُدارُ الشراكاتُ بروحِ المسؤوليةِ والتكامل ؟ شكرًا لكم، وشكرًا لجمعيّةِ مُهندساتٍ سعوديات، وشكرًا لكل شراكةٍ تُسهمُ في صناعةِ أثرٍ يليقُ بوطنِنا ونفخرُ به جميعًا . والسّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته .